مجلة العلوم القانونية و الاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

المنهج التربوي في فكر ابن عاشور من خلال القيم الأنثروبولوجية

The educational approach in the thought of Ibn Ashur through anthropological values

أحمد كعبوش*[1]، عبد القادر حسيني[2]

[1] معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي نور البشير البيض (الجزائر)

Kaboucheahmed141@gmail.com ،

[2] المركز الجامعي نور البشير، البيض(الجزائر)**abdelkaderhacini32@gmail.com**

تاريخ ارسال المقال: 2021/04/30	تاريخ القبول: 2021/05/17	تاريخ النشر: 2021/06/01

* المؤلف المرسل

الملخص:

الإمام محمد الطاهر ابن عاشور اجتمعت فيه روافد الثقافة الإسلامية، واتّسعت خبراته المعرفية لتضاهي نُضْجَ تجربته، وعُمْقَ ثقافته، وَسِعة عِلمه بالدّقائق العلمية، و وعيه الشّامل بأبعاد انثروبولوجية الثّقافة الإسلامية من جهة، ومن وجهة أخرى ما اعتراها من ازدهار وانحطاط في مختلف العصور، وما وَضْعُه لهذا المنهج التربوي الذي عناه بمؤلَّفه (أليس الصّبح بقريب) إلا دليل لما تقدّم، واستشراف منه للمستقبل.

ثمّ إنّ النّاظر في هذا المشروع الإصلاحي الذي ولد في مطلع القرن العشرين، في سنة 1903م، لَيَعلم علم اليقين مدى حرص ابن عاشور على وضع أسسٍ بيداغوجية تربوية مصلحة لحال التّعليم، ومرقّية لكيفيات تسييره، وتقنيات تأطيره، مركّزا في إصلاحه التربوي على ضرورة تحسين آداب العلم، وتفعيل أداته (العقل)؛ وقد ضمّن في مؤلّفه في الفنّ التربوي حديثا عن مظاهر الانحطاط في الفكر، والثّقافة الإسلامية لأجل تطبيق المعرفة الأنثروبولوجية لتجاوز العوائق والمحافظة على مقومات الأمة، وتطرق فيه إلى عرض الأسباب التي أدت إلى ضعف الحركة العلمية عند المسلمين، إضافة إلى أهم الطرائق التّعليمية والتربوية التي يجب على سالك سبيل العلم ولوجها للنهوض بالنهضة المعرفية إلى أوجّها، وتأتي هذه الدّراسة بعرض أبرز معالم هذا المنهج التربوي الذي عرضه ابن عاشور، وأبرز مقاصده، ومراميه، مؤكّدة إلى ضرورة مراعاتها للنهوض بنوعية المشاريع الإصلاحية التربوية، والبيداغوجية.

الكلمات المفتاحية: المنهج التربوي; ابن عاشور; النهضة المعرفية; الأنثروبولوجية; الطرائق التعلمية.

Abstract

Imam Mohamed Taher Ibn Achour had acquired all the tributaries of Islamic culture and his cognitive experience broadened to match the maturity of his experience and the depth of his scientific knowledge and global awareness of the dimensions of culture. Islamic is the development or the fall in different eras and the establishment of its educational system as it emerges through his work "is not dawn near" is only a proof of progress and a vision on his part for the future since the observer of this reform project which was born at the beginning of the 20th century in 1903, to see with certainty that Ibn Achour bent to establish educational pedagogical foundations that aim to reform education, while developing the modalities of its management and supervision based in its educational reform on the need to improve the ethics of the science of activating the mind, it added é in his work of educational art a discourse on aspects of the fall of Islamic thought and culture and addressed the causes which weakened the

scientific movement among Muslims in addition to the most important methods of teaching and of education which the researcher of knowledge must adopt in order to an ideal cognitive progress, this study has just exposed the important points of reference of the educational system that Ibn Achour exposed, and which showed its objectives and its purposes, it insists on the need for it to be taken into account in order to improve the quality of educational and pedagogical reform projects.

Keywords: Educational program; Ibn Ashour; renaissance of knowledge; anthropology; learning methods.

مقدّمة:

أسس ابن عاشور منهجا فكريا تربويا بيداغوجيا يعتمد على مقاييس واستشرافات أصبحت اليوم وليدة المناهج التربوية، والطرائق التدريسية الحديثة، هذه الاستشراقات الفكرية في الساحة التربوية العاشورية لو كتب لها التفعيل لأنتجت منهجا متماسكا تربويا وقّاداً، والناظر في توازن البحث التربوي عند ابن عاشور يلمح من منظور آخر؛ ملْمَح الموسوعية الفكرية في ذاتية الفكر عند ابن عاشور، وتراوح الأفق التّجديدي فيها دراسة لا تغفل النسق الاجتماعي ومقوماته، التي تجعل من الدارس لهذا المجال لا يغفل عن علم الأنثروبولوجيا التربوية وما يحمله هذا العلم من ثقافة على المتعلم ان يحملها في تعلمه فهو باب مهم لأصول التربية حتى يمكن لنا تطعيم المناهج التربوية بمقومات الامة وتاريخها المجيد، فكتابه (أليس الصبح بقريب) الذي خصّ فيه زبدة نتاجه التربوي، قد بدأ تأليفه سنة 1903؛ مدبّرا فيه عن أفكار تصورية تأطيرية لمنهج تعليمي متكامل من تعليمية مادة التخصّص التي ينوّه عنها في آخر هذا المؤلف إلى طرائق التدريس، إلى مناهج التعليم عند العرب، إلى ومضات وضاءة في علم النفس التربوي لشخصية المتعلم في المراحل التعلمية من الابتدائي إلى التعليم العالي مرورا بالتعليم المتوسط.

يأتي هذا المقال العلمي ليعرض بعضا من هذه التشوفات العاشورية، إذ تكمن أهمية أسطره في أهمية مؤلّف ابن عاشور (أليس الصبح بقريب)، من بين ذلك: الكشف عن جهود ابن عاشور في إصلاح المجال التعليمي وفق انثروبولوجية محددة الأهداف، يترجم أشغال ابن عاشور لترقية التسيير الإسلامي خاصة، والعلمي عامة، فيه عرض لأهم أسباب التعثر العلمي عند العرب.

أهمية الكتاب[1]:

ترجع أهمية كتاب ابن عاشور (أليس الصبح بقريب) لاعتبارين: الأول: أنه وثيقة تاريخية بالغة الأهمية في فهم حركة الإصلاح والتجديد التي شهدها العالم الإسلامي منذ نهايات القرن التاسع عشر. فهو يروي الهموم والمشاغل والرؤى التي حملها رجالات الإصلاح في قضايا التعليم والمعرفة باعتبارها مدخلا للإصلاح نظرا وعملا، الثاني: على الرغم من أن فصولا عديدة من هذا الكتاب قد أصبحت جزءا من التاريخ؛ فإن كثيرا من الرؤى والأفكار التي طرحها ابن عاشور ما تزال قيمتها العلمية ثابتة، وجدارتها الفكرية قائمة.

محددات الدراسة:

المادة التربوية التعليمية المستنبطة من خلال مؤلف ابن عاشور (أليس الصبح بقريب)، ثمّ عدم التوسّع في البحث عن معاني المصطلحات التربوية، والمناهج التدريسية إلا ما كان على سبيل الإجمال؛ لأنّ المقام لا يسمح بذلك، ولا يتّسع له المكان بالدّراسة الحالية لغزارة المعاني، وتظافر الحقول الاصطلاحية.

مصطلحات الدّراسة:

المنهج التربوي: هو مجموع الخبرات والأنشطة التي تقدمها المدرسة للتلاميذ بقصد تعديل سلوكهم، وتحقيق الأهداف المنشودة؛ ومن خلال هذه التعريف يكون المنهج حصيلة لخبرات متراكمة، وأنشطة متعددة تساهم إيجابا في رفع المستوى الفكري، والعملي للتلاميذ، وتحقيق أهدافهم المنشودة.

التحصيل المعرفي: يتمثل في المعرفة التي يحصل عليها المتعلم انطلاقا مع الطريقة التدريسية أو المنهج الدراسي، وفق برنامج يجعل المتعلم أكثر تكيفا مع وسطه الاجتماعي التعلمي التعليمي الذي يعيش فيه، ويتأثر به ويؤثر عليه.

تصنيف العلوم: علم معياري تاريخي؛ يحمل في طياته توجهات العقل إلى مواضع المعرفة؛ سواء على مستوى تربوي؛ بالإرشاد إلى كيفيات استيعاب العلوم وتمثلها، أو على مستوى إيداعي بالتوجيه على المستجد من مناطات الاستكشاف العقلي[2].

المبحث الأول: محدّدات عنوان المقال المنتخب

عرض ابن عاشور رؤيته في إصلاح التعليم الإسلامي وبيانه لطرق إصلاح العلوم، بناء على نظر دقيق في مراحل تطور التعليم مناهج ومؤسسات، وتأسيسا على تحليل نقدي لمسارات تاريخ العلوم وإدراك منهجي لعوامل نشأتها ونموها وأسباب قوتها ووهنها، كل ذلك في إطار رؤية تاريخية على قدر كبير من الشمول والاستيعاب في استقصائها لمهمات الموضوع ومختلف جوانبه وسائر أبعاده عبر الزمان والمكان[3]، يعالج هذا المبحث ماهية مفردات العنوان التركيبية، ويستعرضُ توطئة أساسية للموضوع المنتخب.

المطلب الأول: ماهية المنهج التّربوي عند ابن عاشور

تمهيد إن بناء أي نظر دقيق في مراحل تطور التعليم والمناهج والمؤسسات، لابدّ له من تحليل نقدي كاشف، ومستوى علمي هادف، يستجمع أصوله وفروعه المعرفية، وهذا المطلب فيه بيان ماهية المنهج التربوي، ثمّ نبذة يسيرة تعريفية بالإمام محمد الطّاهر ابن عاشور.

الفرع الأول: ماهية المنهج التربوي في فكر ابن عاشور

كلمة "المنهج" في اللغة مشتقة من "النُّهُج"؛ ومعناه: الطّريق أو المسار، ويعني: "وسيلة محدودة توصل إلى غاية معينة"[4]، وتعني أيضًا: الطريق البيّن الواضح[5]، ومنه قوله تعالى: ((**ولكل منكن جعلنا شرعة ومنهاجا**)) [المائدة: 46]، قال ابن عاشور في تفسير هذه الآية : "والمنهاج : الطريق الواسع..، فذكر الرشاء مجرد تخييل، ويصح أن يجعل له رديف في المشبه بأن تشبه العوائد المنتزعة من الشريعة أو دلائل التفريع عن الشريعة أو طرق فهمها ، بالمنهاج الموصل إلى الماء، فمنهاج المسلمين لا يخالف الاتصال بالإسلام، فهو كمنهاج المهتدين إلى الماء، ومنهاج

غيرهم منحرف عن دينهم، كما كانت اليهود قد جعلت عوائد مخالفة لشريعتهم، فذلك كالمنهاج الموصل إلى غير المورود، وفي هذا الكلام إبهام أريد به تنبيه الفريقين إلى الفرق بين حاليهما وبالتأمل يظهر لهم"[6]، من هذا المنطلق يمكن اعتبار مفهوم المنهج عند ابن عاشور له سياقان: سياق ماديٌّ يعتبره فيه مرادفا للطريق السويّ المستقيم غير الزائغ أو المنحرف، وسياق معنوي يعتبر فيه المنهج هو ما يدلّ على الفهم الصّحيح السديد.

الفرع الثاني: المنهج التربوي في الدّلالة الاصطلاحية

يمكن تعريفه بأنه : "مجموع الخبرات والأنشطة التي تقدمها المدرسة للتلاميذ بقصد تعديل سلوكهم، وتحقيق الأهداف المنشودة"[7]؛ ومن خلال هذه التعريف يكون المنهج حصيلة لخبرات متراكمة، وأنشطة متعددة تساهم إيجابا في رفع المستوى الفكري، والعملي للتلاميذ، وتحقيق أهدافهم المنشودة.

هو الوسيلة التربوية التي تحقق الأهداف ضمن سياقات ثلاث[8]:

السياق الأول: ويشتمل على أمرين اثنين:

- كونه خطة تربوية تتألف من مجموعة فرص تعليمية تقدم للتلاميذ.
- كونه يشكل مجموعات النتاجات العلمية المخرجة لنا.

السّياق الثاني: اعتبار المنهج جزءًا أساسيا من النظام التربوي والمدرسي الذي تخطط داخله القرارات المنهجية.

السياق الثالث: اعتباره علم دراسي منظم، ويشتمل على دراسة علمية للأمور والقضايا المتصلة بالمنهج، وتطوره عبر السنين مرتبطا بالدّراسات العلمية التربوية.

الفرع الثالث: ترجمة موجزة عن الإمام محمد الطّاهر ابن عاشور

الإمام محمَّد الطاهر ابن عاشور إمام من أئمة العلم والفقه والأصول واللّغة، ولد بتونس سنة (1879م)، وتوفي بها سنة (1973م)، شاء المولى أن تتّسع مسيرة حياته لأكثر من تسعة عقود، في فترة حافلة بالأحداث السّياسية، والمستجدّات التّاريخية، زاخرة بالأنشطة المعرفية، والحركات الثّقافية، والعلمية، مما أثر في تكوين وصقل شخصيته، فنشأ في رحاب العلم، مزاوِلاً دور المعرفة، ومستقرا في أكناف أمّهات الكتب، ناهلاً من مناهلها، ضابطًا لمعارفها، و وجّه فكره نحو فكرة المقاصد، والعمل على تنزيلها، وتأصيلها، وتقريرها، وضبط قواعدها ومفاهيمها، أحدثت آراؤه نهضة في علوم الشّريعة، والتّفسير، والتّربية، والتعليم، والإصلاح، وكان لها أثرًا بالغًا في استمرار مدرسة "الزيتونة" في العطاء والرّيادة.

كما تولّى مناصب قيادية مرْموقة في بلاده كالقضاء، والإفتاء، ومَشْيخة الجامعة الزّيتونيّة، فضلاً عن التدريس بها، فكان أوّل من درّس كتاب الموافقات، وأوّل من درّس مقاصد الشّريعة في الجامعة، وكان عضوًا مراسلاً في مجمعيْ اللغة العربية بدمشق، والقاهرة، أما مدرسة الصّادقية، فله بها إسهامات عظيمة في التفسير، وفي الأصول، وفي اللغة والأدب، وفي مقاصد الشّريعة، التي انعقدت له الإمامة فيها، وارتبط اسمها به، واسمه بها، بفضل كتابه: (مقاصد الشريعة الإسلامية)، وكتابه (أصول النظام الاجتماعي)، وغير ذلك من البحوث والمقالات والمحاضرات[9].

المطلب الثاني: الإمام ابن عاشور وضرورة الإصلاح التربوي

تلعب التربية في المجتمع دوراً أساسيًّا في إعداد الإنسان للحياة، حيثُ تهيئ له المؤسّسات التربوية مواقف التعلم المختلفة التي تمكنه من النمو والتوازن، ضمن إطار فلسفة المجتمع الذي ينتمي إليه، فيكتسب أنماطاً مختلفة من السّلوك الذي يؤثّر عليه، تأتي هذه الجزئية لبيان الدّور الذي لعبه ابن عاشور في الكشف عن ضرورة الإصلاح التّربوي ابتداء بأهمية التربية والتعليم، مروراً بالمنهج التربوي الذي حاول ابن عاشور التأصيل له، ثم بيان المقاصد من الإصلاح التّربوي عند ابن عاشور.

الفرع الأول: أهميّة التربية والتعليم عند ابن عاشور

إنّ عناية ابن عاشور بالتعليم نابعة من إدراكه لأهميته باعتباره من (أصول المدنية البشرية)؛ ولذلك كان مطّرداً في سائر الأمم، وكان التّنافس على سلطة التعليم خلقا قديما للدّول والأحزاب، لأنه يفيد في ترقية المدارك البشرية، وإنتاج قادة للأمة في دينها ودنياها[10].

ولكن الغفلة عن العناية بالتعليم، أو غفلة المدرّس عن سلك أفضل طرق التعليم؛ تورث خللا في تكوين الناشئة[11]، ولذلك يرى ابن عاشور أنه لو أتيحت له في صغره فرصة التوجيه والتنظيم، لا قتصد كثيراً في جهده و وقته، ولَسَلِم من التّطوّح في طرائق تبيّن له من بعد ذلك خللها[12].

الفرع الثاني: ابن عاشور يؤصّل لمنهج تربوي

الإمام محمد الطاهر ابن عاشور؛ اجتمعت فيه روافد الثّقافة الإسلامية، ومبادئها، وقيمها الصحيحة، فاستفاد من علوم زمانه، وأبان انفتاحه على مختلف العلوم والمناهج العلمية، والإنسانية، واللسانية، وغيرها، فتزعم الإصلاح في ميادين متعدّدة: القضاء، الفتوى، الحركة التعليمية، إضافة إلى تجديده الدائم في في الطرح الفقهي المعاصر، ألف ابن عاشور كتابه (أليس الصبح بقريب) فاستعرض فيه استعراضًا شافيًا أطوار التعليم، والطرق الكفيلة بإصلاحه، كما ضمنه آراءه الإصلاحية التي بدأ في تدوينها سنة 1902م، ولم يزل يبثها تدوينا، وإصداعًا.[13]

الفرع الثّالث: المقاصد من الإصلاح التربوي عند ابن عاشور

أ- تحصيل السعادة الدنيوية والأخروية:

يرى ابن عاشور أن المقصد العام الذي يحققه مقصد الإصلاح التربوي؛ هو كونه يسري بالمتعلم إلى تحقيق السير في غياهب السّعادة المتحققة في علمه بوجوه استقامة أشغاله؛ كونها تحقق له الرّضا عن نفسه، والثقة في حصول مراده من عمله، يقول ابن عاشور: "نحن نشتغل في هذا العالم لنحصل السّعادة حيثما توجهنا، وذلك بجلب المنافع، واتّقاء المضارّ، فنحن إذن في أشد الاحتياج إلى العلم بوجوه استقامة الأشغال؛ وهي المراد من التعليم، ليكون المتعلم بذلك : راضيا عن نفسه، واثقا بحصول مبتغاه من عمله"[14].

ب- إصلاح التعليم موصل إلى الابتهاج، والطمأنينة :

فالمتعلّم إن بلغ حدّ أن يكون معلما يجد ابتهاجا في تبينه للمتعلمين الحقائق التي يعالج بها من إنشاء أمة مستقلة[15].

ج- صلاح التعليم فيه تقدم الحضارة:

يرى ابن عاشور أن تقدم الحضارة[16] مبنيّ على توفّر كثرة العلوم الحاجية؛ التي تدعو إلى معرفتها حاجة الحياة الاجتماعية[17].

د- صلاح التعليم فيه إنتاج قادة للأمة، في دينها ودنياها.

ذ- التعليم الصّحيح يرمي إلى إنشاء أرقى أصناف الناس، من كل من تمرّس بالأشغال والأعمال، أو رزق المواهب الحسنة، و رغب في تعديل سلوك خير السبل، وشغف بالمعرفة، وامتاز بحب الواجب والتعقل[18].

ر- المنهج التعليمي الصّحيح يقتصد المواهب، ويختزل الطرق؛ يقول ابن عاشور متحدّثا على نفسه: "إني على يقين أنني لو أتيح لي في فجر الشّباب التّشبع من قواعد نظام التعليم والتوجيه؛ لاقتصدت كثيرا من مواهبي، ولاكتسبت جمًّا من المعرفة، ولسلمت من التّطوُّحِ في طرائقَ تبينَ لي بعدَ حين الارتداد عنها"[19].

المبحث الثاني : تصنيف العلوم عند ابن عاشور

يتناول هذا المبحث مبدأ تصنيف العلوم عند الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ليتوصل من خلالها إلى مناهج التعليم في فكره العلمي.

المطلب الأول: مناهج تعليم العلوم

وفي هذا المطلب حديث عن مناهج التعليم انطلاقا من فكرة تصنيف العلوم ثم مناهج التعليم، وتطبيق هذه المناهج على المنهج التربوي بجامع الزيتونة ثم درجات التعليم بتونس بلد الإمام ابن عاشور.

الفرع الأول: فكرة تصنيف العلوم

تبرز فكرة تصنيف العلوم classification Des Sciences في فترات تاريخية معينة، تتميز بخاصيتين أساسيتين:

الأولى: تزايد الكمّ المعرفي تزايدًا كبيرًا.

الثانية: استمرار حدوث التّقسيمات في فروع المعرفة المختلفة، وتشعب فروع أخرى أصغر منها تحتها، أو بجانبها، وبما أنّ العقل الإنساني يميل دائمًا إلى التّجريد، ومن ثمّ إلى الوحدة، كما أنه يسعى إلى تحقيق الانسجام في وسط الفوضى، فإنّ محاولات ضبط العلوم، وفروع المعرفة؛ المختلفة والمتنامية باستمرار لم تتوقف باستمرار[20].

ويعرض ابن عاشور في كتابه (أليس الصبح بقريب) نوعان من العلوم[21]؛ ويقسمهما باعتبار المقصد من كليهما، ويمكن أن يُصطلح على هذا التصنيف (التصنيف المقاصدي للعلوم):

أولا : العلوم الحاجية : وهي العلوم التي تدعو إلى معرفتها الحياة الاجتماعية؛ وهي تختلف أعدادها باختلاف الحاجات الداعية، ولا يَقدر أن يحدّد عددها أحد.

ثانيا : العلوم الأدبية : وهي ما لا يجتني منه المرء غير الكمال النّفسي.

بينما يذهب ابن خلدون إلى تصنيف العلوم على صنفين[22]:

أولا : العلوم الحكمية الفلسفية؛ وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها، ومسائلها، وأنحاء براهينها، و وجوه تعليمها، حتى يقف نظره، وبحثه على الصواب من الخطأ فيها، من حيث هو إنسان ذو فكر.

ثانيا : العلوم النّقلية الوضعية؛ وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشّرعي، ولا مجال فيها للعقل، إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول.

الفرع الثاني: مناهج تعليم العلوم

يرى ابن عاشور أن مناهج تعليم العلوم تختلف باختلاف العصور، والأقاليم وصفاتها، وبمقدار ما يتزايد من العلوم متسلسلة من القرن الأول الإسلامي[23]، ويرى أن هذه المناهج مستمدة من كيفية تلقي العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومن الكيفيات التي بثّ أصحابه بها العلم بعد انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى.

درجتا التعليم في عهد التابعين :

أ. التعليم الابتدائي: يسمى بالتأديب؛ يسمى معلمه المؤدب، والمكتَّبَ؛ وموضعه يسمى: الكتاب، وتلامذته: أبناء الكتاب، أو أبناء المكتب؛ وهو التعليم الذي يتلقى فيه الصّبي حروف الهجاء، والكتابة تدريجا، ويلقن سور القرآن القصيرة[24].

ب. التعليم الذي فوق الابتدائي: هو تلقي دروس العلوم بالفهم، وشرح المتون التي حفظت في التعليم الابتدائي، ثم يرتقون في دراسة كتاب العلوم بشروح و حواشٍ، وينتقلون من انتهاء كتاب إلى أوسع منه في علمه ببسط شرح وزيادة مسائل، وهو تعليم لا منتهى له، وهو يجمع ما يعادل التعليم الثانوي، والتعليم العالي، ولهم في هذا النوع ثلاث طرق:

أولها: طريقة الإملاء؛ يكون فيها كل عالم مختص بفن يملي على الناس من ذلك الفن من غير مطالعة، ولا مراجعة، بفضل الاختصاص بعلم من العلوم.

ثانيها: طريقة التزام قراءة تأليف معين، أو شرح من شروحه.

ثالثها: طريقة السؤال والجواب.[25]

الفرع الثالث: درجات التعليم بتونس

1- الدرجة الابتدائية: مبدؤها بالمكتب القرآني للخط، القراءة، الرسم المصحفي، حفظ المتون مثل: (السلم، المرشد المعين، ألفية ابن مالك)، وهذا التعليم استمر جاريا على حالة قديمة وصفها ابن خلدون في عهد الدولة الحفصية[26]، بعد ختم القرآن ينتقل التلميذ إلى الجامع الأعظم؛ فيقرأ ثلاث سنين يدرس فيها: النحو، الفقه، التجويد، المنطق، مبادئ البيان، الحساب.

2- الدرجة المتوسطة: أربع سنين؛ وعلومها: أصول الفقه، مبادئ البلاغة، آداب البحث، العروض، النحو، الصرف، البلاغة، الفقه، المنطق، الكلام، الحساب، العروض، الأدب،

وفي السنة الرابعة: التحقيق للعلوم مع زيادة علوم الحديث والمصطلح، وتسمى هاته السنة سنة التحضير للامتحان، يكثر فيها المتعلم شغله بالمراجعات، والتّحقيق للمسائل، وتوزيع الفكر[27]، وتنتهي هذه الدرجة بنوال شهادة تسمى التطويع.

الدرجة العالية: تأتي بعد تحصيل المتعلم على شهادة التطويع؛ وهي لمن سمت بهم هممهم إلى الرقي العلمي، فيطلب منه إقراء الكتب الابتدائية ثمّ يتدرج فيها ويشتغل بقراءة المرتبة العالية، وعلومها: التفسير، الحديث، أصول الفقه، الفقه، البلاغة، النحو، اللغة، الأدب، الكلام، وليس مشروطا على مزاول هاته المرتبة الاشتغال بجميعها، بل يكتفي بما تدعوه إليه همته[28].

المطلب الثاني: التحصيل العلمي عند ابن عاشور

يتناول هذا المطلب بيان منهج ابن عاشور في التحصيل المعرفي، ثمّ ذكر أهم الوسائل العلمية المساعدة على التحصيل المعرفي، وكذلك العوائق التي ساهمت في التأخر العلمي.

الفرع الأول: منهج ابن عاشور في التّحصيل المعرفي[29]

1- المرتبة الابتدائية : تعطى فيها للتّلميذ المادة المعرفية المناسبة لسنّ المتعلم في هذه المرحلة؛ ومنهج ابن عاشور في هذه المرحلة هو مطالبة المتعلم باستحضار المهمّ من الأمور، ولا يدخل في تفاصيلها، مع التّركيز على التّطبيق العملي، وتكرير السّؤال فيه، وتكليفه بتحريرات يظهر فيها أثر معرفته.

2- المرتبة المتوسّطة : يصير فيها التّعليم راميًّا إلى تقوية الفكر، الجمع، والتّحليل.

3- المرتبة العالية : يصير التّعليم يرمي إلى الاستنتاج والنّقد.

وفي كلّ تلك المراتب لا تكون العناية إلا باللُّبِّ من العلم، لا بالألفاظ، والقشور.

الفرع الثاني: أسباب التأخر العلمي عند ابن عاشور

يرجع ابن عاشور أسباب تأخر التعليم إلى نوعين أساسيين؛ هما:

أ- أسباب دائمة عامة: وهي تلك الأسباب العامة التي قضت بتأخر المسلمين على اختلاف أقاليمهم، وعوائدهم، ولغاتهم، ومرجع هذا النوع إلى أسباب التأخر العام في العالم الإسلامي.

ب- أسباب خاصة؛ متعلّقة بمناهج التربية، وطرق التدريس؛ راجعة إلى تغير نظام الحياة الاجتماعية في أنحاء العالم تغيرا استدعى تبدل الأفكار، الأغراض والقيم العقلية، وهذا التغير استدعى تغير أساليب التّعليم، ومقادير العلوم المطلوبة، وقيمة كفاءة المتعلمين لحاجات زمانهم[30].

وفساد التّعليم في هذين السببين يكون إما : من فساد المعلم، أو من فساد التآليف، أو من جهة النّظام العام[31].

الفرع الثالث: عرض الأسباب الخاصة لتأخر التعليم

أ- إهمال المراقبة المميّزة لطرق التدريس، ومدى كفاءة المناهج التعليمية، ويرى ابن عاشور أن هذا السبب هو الذي فسح للداء مجال السّريان[32].

ب- إهمال الضّبط: وذلك في اختيارية النظام التعليمي في سائر أحواله، فالمتعلم يتعلم باختياره، والمدرس يدرس ما يروق له من الكتب، والمؤلف يصطلح على ما يشاء في العلم[33]، ويحصر ابن عاشور مبادئ ضيط التّعليم بصفة طردية في أربعة أمور: جعله إلزاميا، وضبط أوقات المدرّسين، ضبط محلّ التّعليم، تقسيم التّلاميذ على العلوم والدروس[34].

ت- عرو التّعليم عن مادّة الآداب، وتهذيب الأخلاق، وشرح العوائد النافعة؛ ويرى ابن عاشور أن هذا هو السّبب الذي قضى على المسلمين بالانحطاط في الأخلاق والعوائد[35].

ث- سلب العلوم والتعليم حرية النقد الصّحيح في المرتبة العالية وما يقرب منها[36]، والرّضا بالموجود[37].

ج- الغفلة عن إعطاء كلّ مرتبة من مراتب التّعليم ما تحتاجه من الأسلوب اللائق بها، والنّافع فيها[38].

ح- إهمال التمرين والعمل بالمعلومات كما هو الغاية من كل علم[39].

خ- عروّه من ملاحظة المصالح الصّحية، وقد قيل "العقل السّليم في الجسم السليم"[40].

د- تفكير التّلامذة منذ الابتداء للاستعجال لتحصيل الشهادة من غير تفكيرهم في الأهم من ذلك، وهو الكمال العقلي[41].

ذ- ضعف الملكات اللّسانية؛ أي القصور في اللغة[42].

ر- عروّ التعليم عمّا يفيد التلامذة اطّلاعا على أحوال الأمم الماضية، التاريخ الإسلامي، وتراجم رجاله، تاريخ الأمم المعاصرة، تاريخ الحضارة[43].

الفرع الرابع: وسائل التقدم العلمي عند ابن عاشور

أ- الإخلاص في بثّ العلم؛ يقول ابن عاشور: "لم يكن التّقدم العلمي معتمدًا إلا على إخلاص الأساتذة، والمتعلمين في بث العلم، وطلبه"[44].

ب- البساطة والتمسك بالفضائل، يقول ابن عاشور متحدّثا عن وسائل التّقدم العلمي عند القدماء؛ "وقد كان لهم من بساطة الأحوال الاجتماعية في تلك العصور أكبر عون إلى ما تدعوهم إليه هِمَمُهُم إذ كانت الفضيلةُ، وبساطة العيش يومئذ متلازمين غاليًا"[45].

ج- وضع برامج تحقّقُ حياة هذا التّعليم على حالة كاملة، وتحقق مقاصد طالبيه في معترك عصرهم، وتحقق مقاصد الأمة من خرّيجي هذا التعليم[46].

د- تكليف عقلاء القوم، وحكمائهم الذين يُعتمدون في وضع أساليب التعليم، بترتيب كل ما يبلغ بالعلم والمتعلمين إلى الغاية المطلوبة في أقرب وقت، وعلى محجّة موصلة[47].

ذ- وضع المراقبة الصّحيحة على التّعليم والعلوم، وتولية أمر نقد التعليم لمن أنشأه ذلك التّعليم نفسه، لكونه عارفا بحاجات الزمان، وغايات العلوم[48].

ر- أن يكون التعليم بصفة كلية عامة تسوي بينها في العوائد والأخلاق[49].

ز- التّدريب على ضروب الحكمة، ونقد مقتضيات الزمان، وعلو الهمة، الغيرة للحق، الترفع عن كل من يخالف المقصد، الإقدام، الحزم، أصالة الرأي، حب النظام في جميع أحوال الحياة...[50]

و- ترتيب مراتب التعليم على سنوات، وصون الامتحان عن التساهل، وإقناع التلميذ بأن المراد منه أن يكون كاملاً بذاته، وأن يرضى بنفسه عن نفسه، وما عليه أن أطراه الناس[51].

ي- جعل مجلّة ينشر فيها التلاميذ ما يحرّرونه من أبحاثهم ومقالاتهم، بإشراف أساتذة أكفاء عليها[52].

خاتمة:

أ - تميّز فكر ابن عاشور بإضافات نوعية معرفية ومنهجية وعملية أثرت رصيد العمل التّجديدي الإسلامي الحديث والمعاصر، ومن هذه الملامح موضوع القيم التربوية.

ب- وضع ابن عاشور خريطة تربوية للمنظومة التعليمية ؛ المراد غرسها في أفراد المجتمع الإسلامي لتسهم في إعادة البناء الشامخ للجامعة التعليمية التعلمية الإسلامية.

جـ- يبين أن من سمات النظام التربوي الصّالح؛ أن يكون جامعًا بين بين آداب العلم، مفعّلا لأداة العلم؛ التي يمكن حصرها في العقل الفعّال الممحّص لعلوم الشّريعة.

د – تقوية الملكات اللّسانية؛ يرفع المستوى التّعليمي لدى المتعلمين، ويمكنهم من الانفتاح على غيرهم، والتقدم المعرفي، الحضاري الواسع.

و– ضبط التّعليم لا يتحقق إلا باجتماع أربعة أمور: أن يكون إلزاميًا، أن يضبط فيه المجال الزماني لأوقات المعلمين، وأن يضبط الفصل الدراسي، ويقيم التلامذة على أساس الدروس تقيما ناجعا.

ي– حاول ابن عاشور أن يضمّن مؤلفه (أليس الصبح بقريب) منهجا تعليميا تشهد لنجاعته أهداف مباحث بيداغوجيا التدريس الحالية.

الهوامش:

[1] سامر رشواني، أليس الصبح بقريب، دراسة تاريخية، وآراء إصلاحية، مقال: الملتقى الفكري للإبداع، http://almultaka.org/site.php?id=934، شوهد يوم : 05-04-2017، الساعة 16:00

[2] ينظر، النجار، عبد المجيد، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992، ص41

[3] مقال: الملتقى الفكري للإبداع، http://almultaka.org/site.php?id=934، شوهد يوم : 05-04-2017

[4] حلمي أحمد الوكيل، محمد أمين المفتي، المناهج: المفهوم، الأسس، التنظيمات، التطوير، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة، 1999، ص5

[5] ابن منظور؛ لسان العرب، ج5، ص4554

[6] ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، ج6، ص223

[7] محمد عزة عبد الوجود، وآخرون، أساسيات المنهج وتطبيقاته، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1981، ص11

[8] شاهين نجوى عبد الرحيم، أساسيات وتطبيقات في علم المناهج، دار القاهرة، 2006، ص14

[9] ينظر؛ إياد خالد الطباع، محمد الطاهر ابن عاشور علاّمة الفقه وأصوله، والتفسير وعلومه، دار القلم، دمشق، ط1، 2005م، ص30-39، ينظر؛ بلقاسم غالي، من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم؛ محمد الطاهر ابن عاشور، دار ابن حزم، بيروت، 1996، ص17-18، ينظر؛ حسين المزعوي، من أجل ترجمة متكاملة لحياة الشّيخ محمد الطّاهر ابن عاشور، مجلّة الهداية، عدد6، 1999، ص54-55، ينظر؛ الرّيسوني، أحمد، محاضرات في مقاصد الشّريعة الإسلامية، دار الكلمة، ط3، 2010، ص94إلى96

[10] ينظر؛ ابن عاشور، محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب، دار سحنون-دار السلام، ط1، 2006م، ص12-13

[11] ينظر؛ عبد اللاوي بشير مكي، مقال: إشكالية إصلاح التعليم من خلال أليس الصبح بقريب، مجلة: الحوار المتوسطي، العدد 15-16، مارس 2017، ص283

[12] ينظر؛ أليس الصبح بقريب، ص11

[13] أليس الصبح بقريب، ص5

[14] أليس الصبح بقريب، مرجع سابق، ص9

[15] المرجع نفسه، ص9

[16] عرفها ابن خلدون بقوله: "والحضارة إنما هي تفنُّنٌ في التَّرف، وإحكام الصّنائع المستعملةِ في وجوهها، ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفُرش والأبنية، وسائر عوائد المنزل وأحواله، فلكل واحدٍ منها صنائعُ في اسْتِجادَتِه، والتأنُّقِ فيه، تختصُّ به ويتلو بعضها بعضاً، وتتكثَّرُ باختلافِ ما تنزعُ إليه النُّفوسُ من الشّهواتِ والملاذِّ والتّنعُّمِ بأحوال التّرفِ، وما تتلوَّنُ به من العوائد، فصار طورُ الحضارة في الملك يتبع طورَ البداوةِ ضرورةً لضرورة تبعيّة الرِّفْهِ للمُلك" ينظر: ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، مقدّمة ابن خلدون، ت؛ عبد الله محمد الدّرويش، ط1، 2004م، ج1، ص338

[17] أليس الصبح بقريب، مرجع سابق، ص9

[18] ينظر؛ المرجع السابق، ص11

[19] ينظر؛ المرجع السابق، ، ص11

[20] حامد طاهر، نظرية تصنيف العلوم عند الفارابي، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد التاسع، 1991، ص385

[21] أليس الصبح بقريب، مرجع سابق، ص9 – ص10

[22] ينظر؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، ت؛ عبد الله محمد الدرويش، ط1، دار البلخي، دمشق، 2004، ج2، ص171

[23] ينظر؛ المرجع السابق، ص43

[24] ينظر؛ المرجع السابق، ص43

[25] ينظر؛ المرجع السابق، ص45-46

[26] ينظر؛ المرجع السابق، ص87

[27] ينظر؛ المرجع السابق، ص87

[28] ينظر؛ المرجع السابق، ص87-88

[29] ينظر؛ أليس الصبح بقريب، مرجع سابق، ص111

[30] ينظر؛ المرجع السابق، ص100

[31] ينظر؛ المرجع السابق، ص105

[32] ينظر؛ المرجع السابق، ص100

[33] ينظر؛ المرجع السابق، ص105

[34] ينظر؛ المرجع السابق، ص105 إلى 108

[35] ينظر؛ المرجع السابق، ص108

[36] ينظر؛ المرجع السابق، ص109، ويشير ابن عاشور في هذا الموضع إلى المقصد من التعليم، وهو: إيصال العقول إلى درجة الابتكار، ومعنى الابتكار أن يصير الفكر متهيئاً لأن يبتكر المسائل، ويوسّع المعلومات، كما ابتكرها الذين من قبله، فيتقدم العلم وأساليبه، ولا يكون ذلك إلا بإحداث قوّة حاكمة في الفكر تميّز الصّحيح من العليل مما يلقّى إليه؛ انظر، نفس المرجع، ص109

[37] ينظر؛ أليس الصبح بقريب، مرجع سابق، ص110

[38] ينظر؛ المرجع السابق، ص111

[39] ينظر؛ المرجع السابق، ص112

[40] ينظر؛ المرجع السابق، ص112

[41] ينظر؛ المرجع السابق، ص117

[42] ينظر؛ المرجع السابق، ص118

[43] ينظر؛ المرجع السابق، ص118

[44] ينظر؛ المرجع السابق، ص100

[45] ينظر؛ المرجع السابق، ص100

[46] ينظر؛ المرجع السابق، ص100

[47] ينظر؛ المرجع السابق، ص101

[48] ينظر؛ المرجع السابق، ص101

[49] ينظر؛ المرجع السابق، ص105

[50] ينظر؛ المرجع السابق، ص109

[51] ينظر؛ المرجع السابق، ص117

[52] ينظر؛ المرجع السابق، ص118